الفصل الثالث
القدس في منظور الحركة الصهيونية اليهودية والصهيونية الغربية

ظهرت قبل الحركة الصهيونية المنظمة عام 1897، أي قبل مؤتمر بال الذي عقد بقيادة ثيودور هرتزل عدة دعوات صهيونية تجسدت أحياناً بدعوات فردية وأحياناً أخرى بدعوات جماعية نادت بها بعض الحركات والمنظمات الصهيونية، خاصة في أوروبا الشرقية، وقد بدأ ظهور هذه الدعوات تقريباً منذ عام 1798 على أيدي بعض الحاخامات، من هؤلاء يهودا القالي، وهو من أسرة يهودية صربية كانت تسكن في سراييفو. وقد زار هذا الحاخام القدس في صباه وخضع لتأثير نزعات القبالة اليهودية في صوفيتها وميلها الشديد إلى الحلول والتناسخ وتفسيرها الرمزي لجميع الأعداد والحروف في التلمود، وبدأ يعبر في كتاباته عن ضرورة القيام بمجهود إنساني خاص لتحقيق خلاص اليهود، فنشر كتاباً أسماه (اسمعي يا إسرائيل)، واقترح فيه إقامة مستعمرات في فلسطين لكي تكون مقدمة للخلاص المنتظر، ولكي يتم ذلك يجب السعي لدى السلطان العثماني من أجل درّ العطف على اليهود والعودة الجماعية إلى (الأرض الخراب) كما يسميها.

وهاجر القالي إلى فلسطين في عامِه السبعين وأنهى آخر أيامه في القدس حيث توفي عام 1878.

دعا القالي للهجرة إلى فلسطين باعتبارها، حسب رؤيته، أرض الخلاص لليهود، لكنه في مقالاته لم يركز على القدس كرمز للسيادة الاستيطانية اليهودية، أو كرمز للمقدس اليهودي، ومع ذلك كان يصف فلسطين كلها بالأرض المقدسة.

ويظهر بعده الحاخام زفي هيرش كاليشر 1795 ـ 1884 وهو من بولونيا، وكان من أهم أفكاره إبراز علاقة ما بين اليهودية والأرض المقدسة، ولذلك دعا إلى هجرة اليهود إلى فلسطين والسكن في القدس، وكان أيضاً من أهم أسس دعوته مساعدة اليهود المهاجرين بالمال، وشراء الكروم والبساتين والعمل بها تمهيداً للخلاص اليهودي الشامل الذي يعيد اليهود إلى فلسطين، ولم يتضح أيضاً في مقالاته مفهوم المقدس الخاص الذي يرتبط بالقدس.

ويجدر بنا أن نلاحظ أن المفكرين الصهاينة الأوائل لم يجرؤوا على الحديث عن القدس، خاصة أن الخلافة العثمانية كانت وصية على المسجد الأقصى ولا تستطيع الدعوات اليهودية أن تتمادى في الحديث عن القدس ما دامت أن السلطة العثمانية المسلمة هي حامية للقدس والمقدسات الإسلامية.

وفي عام 1862 خرج لنا المفكر اليهودي الألماني موسى هس بكتابه المعنون (روما والقدس) وقد ركز في أحد جوانبه على مفهوم العودة اليهودية، فاستفاد من مقولات النبي أشعيا التي ترى أن الرب غفر خطايا إسرائيل، وأنه يَعِدُ اليهود بإقامة مجده الرباني في القدس. يقول: (ولكي نبعث الأمة اليهودية إلى الحياة ثانية يتوجب علينا أن نبقي فكرة البعث السياسي لأمتنا حية أولاً، وأن نوقظ هذا الأمل حيث بدأ يغط بسبات عميق ثانياً، وعندما تتهيأ الظروف السياسية في الشرق لدرجة تسمح لتنظيم عودة الدولة اليهودية للحياة تكون هذه العودة بتأسيس مستعمرات في أرض أجدادنا ولاشك أن المساعي الفرنسية تمد لنا يد العون.

ويقول: وكما يوافق اليهود على العودة إلى فلسطين فإنه يضع شرطاً وهو أن يعاد التقليد الديني للتضحية إلى القدس الجديدة).

ومن المفكرين اليهود الذين نظروا إلى المقدس نظرة رومانسية، واختلفوا مع الحركة الصهيونية المفكر والشاعر العبري (حاييم نخمن بيالك). وقد ألقى كلمة في حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس في 4/ 1/ 1925م، وقد أكد فيها الارتباط الرومانسي بين اليهودي وبين أرض فلسطين. يقول في معرض كلمته: (وفي هذا اليوم ستصل الأنباء السارة إلى جميع عائلات إسرائيل المبعثرة في كل مكان بأول وتد في عملية تشييد القدس العالمية، فقد ثبت اليوم وللأبد. وركز بيالك على التمسك بالتوراة ولو كان ذلك على حساب بناء الهيكل فيقول: (دراسة التوراة أهم كثيراً من بناء الهيكل) (معرفة التوراة تحتل مرتبة أسمى من الكهنوتية أو الملكية) ويقول داعياً الشباب اليهود إلى الهجرة: (إنه من الواجب علينا أن نشغل مثل هذه النار المقدسة ضمن جدران البيت الذي افتتحناه الآن على جبل سكوبس؛ فلْيبنِ هؤلاء الشباب القدس الأرضية بالنار، ولْيبنِ الذين يعملون داخل هذا البيت القدس السماوية بالنار أيضاً[1].

ومع بداية القرن العشرين ظهر عدد من المفكرين الصهاينة نظروا للقدس أنها مركز سياسي ورمز لسلطة دولة يهودية في القديم والحديث. ومن أمثلة هؤلاء المدعو ميخاجوزف بيرديشفسكي، فهو يرى أن انهيار المركز السياسي اليهودي تم عندما دمر الهيكل، ويرى أن الأهم في الحياة اليهودية هو الإسرائيلي، أو كما يقول: لكن الشعب اليهودي يأتي أولاً.. إسرائيل قبل التوراة. وقد ربط جميع مفكري الحركة الصهيونية بين الانبعاث القومي وتحقيق الذات اليهودية وبين الهجرة إلى الأرض الفلسطينية والاستيطان فيها.

ولعل من أبرز المفكرين الصهاينة الذين عالجوا قضية القدس ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني الأسبق. وقد نظر إليها أنها قضية سياسية قبل أن ينظر لها قضيةً دينية. فهو يرى أنه ليس هنالك من تربطه بها علاقات تبلغ في القدم الروابط التي تشد اليهود إليها. ويرى غولدمان أن الحجج التاريخية عند الفئات الأخرى هي في الحدود التي يمكن لها أن تشكل قاعدة للحلول السياسية ليست بمثل الشرعية وبمثل المتانة التي

(1) الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية. صفحة 179.

هي عند الشعب اليهودي. ويدعي غولدمان أنه ولا واحدة من تلك الشعوب أو الفئات عاشت في وقت من الأوقات في القدس الموغلة في القدم[1].

ويدّعي غولدمان: أن واقعة تشكيل السواد الأعظم من سكان القدس خلال القرون الأخيرة كان من العرب لا يعتبر مسوغاً قانونياً للمطالبة بالقدس.

ثم يرى أنه من حق إسرائيل الشرعي أن يسمح لها بجعل المدينة بكاملها عاصمة لها بفعل التعلق اليهودي خلال ألف عام بالمدينة.

لكن غولدمان نفسه يعترف أن عدداً من الحاخامات اليهود أكدوا خاصة بعد عام 1967، عندما ضم الكيان الصهيوني القدس لكيانه، أنه لا وجود لنصوص تلمودية تأمر وتنهى بشأن ضم القدس. يقول غولدمان: عندما قررت الحكومة الإسرائيلية بعد حرب 1967 بقليل ضم القدس اقترح السيد موشي حاييم شابير، الذي كان آنذاك رئيس حزب المتدينين (مزراحي) ضد قرار الضم، وكان رجلاً معتدلاً يتمتع بحكمة سياسية واسعة. لقد نفى هذا العلاّمة نفياً قاطعاً أن يكون هنالك أوامر ونواهٍ ذات أصل ديني تنص على ضرورة ضم القدس.

ويرى غولدمان أنه في حالة تخصيص كيان قانوني للمدينة القديمة لن يكون هنالك من داعٍ للتأشيرة الإسرائيلية، بل تمهر الجوازات بتأشيرات خاصة بمدينة القدس، تكون من الوجهة القانونية لا يهودية ولا إسلامية ولا عربية. وعندما يحظى هذا الاقتراح بالقبول سيتكشف عن إمكانات غنية، فتصبح القدس من جديد مركزاً دينياً وحضارياً كبيراً بالنسبة للديانات الكبرى الثلاث التي هي مدينتها المقدسة.

ويعتبر هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة من أكثر المفكرين اليهود تناولاً لمسألة القدس، فهو بوصفه الداعية الأول للحركة الصهيونية، وباعث التوجه الصهيوني لاحتلال فلسطين يرى في مسألة العلاقة بين اليهود والقدس رأياً متطرفاً أو أكثر حدية من غيره من المفكرين الصهاينة.

---

(1) ناحوم غولدمان ـ إسرائيل إلى أين صفحة 76.

فهرتزل يزور القدس عندما كانت في ظل الحكم العثماني، فيرى أنها مدينة لا يمكن أن تعجبه. يقول في يومياته: (عندما أتذكرك في المستقبل أيتها القدس فلن تكون ذاكرتي سعيدة، إن عفونة ألفي سنة من اللاإنسانية والظلم والوسخ تنبعث رائحتها من الشوارع الضيقة. إن الرجل الذي كان موجوداً فيها طيلة ذلك الوقت الناصري الحاكم المحبوب لعب دوراً في زيادة الكراهية[1].

ويقول: إذا ما حصلنا على القدس يوماً، وإذا كنت لا أزال نشيطاً أستطيع أن أقوم بالأعمال، فسأبدأ بتنظيفها قبل أي شيء، وسأبدأ بإزالة كل ما ليس مقدساً.

وقبل نهاية القرن الماضي حاول هرتزل كسب عطف القيصر الروسي، لكن قيصر روسيا رفض استقباله والتعاطف معه. ولكي ينفذ هرتزل خطته آنذاك، طرح رؤيةً لحل مشكلة الأماكن المقدسة في فلسطين، فيرى أنه يمكن إيجاد حل للأماكن المقدسة؛ وذلك بوضعها خارج نطاق الحكم باتفاق جميع القوى، وبإعادة تنظيم الأحوال ستكون الأماكن المقدسة في مأمن أفضل مما هي عليه الآن؛ الأمر الذي يكون أفضل لمشاعر العالم الإسلامي[2].

واستكمالاً لتنفيذ المشروع المتعلق بالقدس، حضر إليها وفد يمثل اللجنة الصهيونية في لندن برئاسة حاييم وايزمان، وذلك في شهر نيسان 1918م.

وفي أيار من عام 1918 طلب وايزمان من السلطة العسكرية التوسط لشراء الممر المؤدي لما يسمى حائط المبكى. وقدم ثمانين ألف جنيه ثمناً. ولكن أهل القدس رفضوا ذلك بالإجماع.

وفي آذار عام 1925 قام بلفور بزيارة فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية في القدس، ودعي أحمد لطفي السيد رئيس الجامعة المصرية إلى حضور الاحتفال فحضر على رأس وفد مصري[3].

---

(1) يوميات هرتزل ص 119.

(2) يوميات هرتزل ص 132.

(3) محمد حسن شراب بيت المقدس والمسجد الأقصى. صفحة 223.

وقد حاول اليهود عام 1929 الاستيلاء على حائط البراق في المسجد الأقصى فقامت ثورة في شهر آب من قبل المسلمين والمسيحيين العرب في فلسطين وأسقطت هذه المحاولة، ويدّعي اليهود أن حائط البراق هو حائط المبكى.

وقد غادر الإنجليز القدس يوم الجمعة 14 أيار عام 1948 بعد أن خلقوا الظروف المناسبة محلياً وعربياً ودولياً لاستيلاء اليهود على فلسطين المحتلة سنة 1948م، وبعد عام 1967، وإثر نكسة حزيران، استولى جيش العدو الصهيوني على القدس وعلى المسجد الأقصى، وقام اليهود بسلسلة أعمال الهدم لأملاك العرب داخل السور وخارجه. فقد أزالوا 135 داراً في حي المغاربة وهدموا مسجدين في ذلك الحي، ثم هدموا 14 داراً من الدور الأثرية والدينية بحجة توسيع كشف امتداد الحائط الغربي للحرم الشريف المسمى بحائط البراق الشريف، وفي عام 1967 أيضاً أقر البرلمان الصهيوني ضم القدس العربية إلى القدس الغربية وحلت بلدية القدس، وفي عام 1968 أقدم الصهاينة على حرق المسجد الأقصى ومحاولة إزالته. وبدأت المرحلة الأولى في أواخر عام 1967 وتّمت سنة 1968، وجرت على امتداد 70 متراً من أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي. ووصل عمق هذه الحفريات إلى 14 متراً. والمرحلة الثانية تمت سنة 1969 وجرت على امتداد 80م أخرى من سور الحرم القدسي. والمرحلة الثالثة بدئ بها منذ عام 1970 واستمرت حتى نهاية 1971، وعلى امتداد 180 متراً. والمرحلتان الرابعة والخامسة بدئ بهما سنة 1973 واستمرتا حتى عام 1974 في موقع خلف الحائط الجنوبي. والمرحلة السادسة، وبدئ بها أوائل 1975. والمرحلة السابعة وهي مشروع تعميق ساحة البراق الشريف التي يدّعون أنها ساحة المبكى. والمرحلة الثامنة وتتناول منطقة تقع خلف الجدران الجنوبية للمسجد وتهدف إلى الكشف عما يسمى بمدافن ملوك إسرائيل. وقد نشب خلاف حولها بين جماعة ناطوري كارتا (حراس المدينة) التي تطالب بوقف الحفر وفِرَقِ الحفر التابعة لوزارة الأديان. والمرحلة التاسعة إلى نفق قديم اكتشف عام 1980. وقد مَنَح الصهاينة النفق

في عام 1996 لحركة اليهود، ما أدى إلى اندلاع انتفاضة الشعب الفلسطيني وجرت اشتباكات دموية راح ضحيتها أكثر من 70 فلسطينياً، وقتل أكثر من 11 صهيونياً. وكانت الهيئة الإسلامية للمسجد الأقصى قد أغلقت طرفي النفق عام 1981 في 3/ 9 أثناء الإضراب العام الذي شمل الضفة الغربية كلها احتجاجاً على حفريات النفق. إلا أن حكومة الليكود بزعامة نتنياهو أقرت فتح النفق مدعية أنه نفق أقيم زمن مملكة داود أو سليمان.

وقد سجلت الوقائع عشرات المحاولات اليهودية لاقتحام المسجد الأقصى وحرقه أو وضع متفجرات تحت أسواره. وكان الحاخامون اليهود أكثر المحاولين لنسف المسجد الأقصى.

ولعل موضوعة القدس في الرؤية الصهيونية تتجلى بشكل كبير لدى الحركات الصهيونية التي أنشئت داخل فلسطين المحتلة بتأييد مباشر وغير مباشر من حكومات العدو الصهيوني المتتالية، وهذه الحركات كانت بجميع الأشكال مسؤولة عن المحاولات الجادة لتدمير المسجد الأقصى.

من أهم هذه المنظمات والحركات حركة كاخ التي كان يتزعمها الإرهابي الحاخام مائير كاهانا، الذي قُتِل في أميركا قبل سنوات.

فكاهانا ينكر وجهة النظر السائدة بشأن القدس الموروثة لأرض (إسرائيل) فهو يرى أن هذه الأرض هي وسيلة وأداة في أيدي اليهود تساعدهم في تحقيق مصيرهم.

يقول كاهانا: (إن وجود الغرباء من غير اليهود في هذه الأرض هو رمز لإنكار سيادة الخالق ومقدرته على توزيع الأرض كما يشاء، وكذلك سيادته على العالم. إن أعظم تدنيس لاسم الرب هو إنكار هؤلاء الغرباء لحق اليهود في هذه الأرض أي إنكار سيادة الرب الذي خصص أرضاً معينة لشعب معين) ويقول: (إن وجود عرب في فلسطين هو تحقير لاسم الرب لذا فإن طردهم عمل ديني قبل أن يكون عملاً سياسياً. ومن أهم الحركات الصهيونية وأخطرها بشأن القدس حركة أمناء الهيكل. وتقوم نظرية

هذه الحركة على أن إعادة بناء الهيكل مهمة ملحة وأولية لدى اليهود وهذا يتطلب تدمير المسجد الأقصى ومسجد عمر وجميع المقدسات الإسلامية في القدس.

وكان من أعنف المحاولات لتدمير الأقصى ما حدث يوم 9/ 8/ 1981 الذي يصادف ما يسمى بخراب الهيكل. حيث حاولت مجموعة كبيرة من أتباع الحركة التسلل أكثر من مرة ومن عدة أبواب إلى داخل الحرم القدسي. وقد كسروا باب المغاربة وصعدوا إلى بناية التنكزية، وقد جاءت محاولتهم لفرض الأمر الواقع اليهودي على الحرم القدسي ضمن خطة مرسومة، وفي 31/ 3/ 1983 تمكن بعض أفراد الحركة من الوصول إلى المسجد الأقصى، وفي هذه الأثناء كانت الصحافة الصهيونية تطالب في مقالاتها وتعليقاتها بالسماح لليهود بالدخول إلى الأقصى.

وحاولت هذه الحركة الدخول للأقصى في 10/ 4/ 1982 فتصدى لأعضائها حراس المسجد، فاستغل جندي صهيوني يدعى (إيلي جوتمان) ذلك واقتحم الحرم القدسي، وهو يطلق النار مما أدى إلى استشهاد عربيين وسقوط 120 جريحاً وحدوث حرائق في سجاد قبة الصخرة.

وفي ليلة الجمعة الموافق 27/ 1/ 1984 قامت مجموعة مسلحة من هذه الحركة بمحاولة لنسف الحرم القدسي بعد اقتحامه من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة.

أما المجزرة التي قامت بها الحركة يوم الاثنين 8/ 10/ 1990 فقد دُبرت مسبقاً، حيث إن الحركة كانت قد حضرت حجر أساس لوضعه في ساحة الحرم إذا أمكن؛ ليكون حجر الأساس لإقامة الهيكل المزعوم، وكانت الشرطة وعناصر الجيش تعرف مسبقاً بذلك، وتعرف أيضاً أن المسلمين لن يسكتوا على ذلك فإذا ما حاولوا منع أعضاء الحركة فإنهم يمطرون المسلمين بالرصاص. وفعلاً فقد حصل ذلك وحين بدأ المسلمون برشق جنود الاحتلال بالحجارة انهال الجنود مع أفراد الشرطة على المسلمين بإطلاق النار والغاز مما أدى إلى استشهاد ثلاثة وعشرين مسلماً، وجرح أكثر من

أربعمائة حسب المصادر. وقد انتشرت الجثث في ساحة الحرم وسالت الدماء هنا وهناك وعلى الرغم من ذلك فقد صرح حاخام حركة أمناء الهيكل أنه يجب العمل على طرد الفلسطينيين بأي وسيلة ولو كانت وسيلة القتل والإبادة.

ومازال الاحتلال الصهيوني يفتعل كل يوم سبباً لاقتحام المسجد الأقصى وتشريد المسلمين، وإقامة الحفريات في جوانب المسجد؛ حتى ينهار ويقيموا الهيكل الثالث حسب رؤيتهم.

لقد درج الزعماء الصهاينة من متدينين وعلمانيين على ربط القدس باليهود. فحزب العمل الذي شكل من عصابة الهاغاناة وغيرها من المنظمات الإرهابية شن عدة حروب ضد الفلسطينيين والعرب، واحتل القدس عام 1967. وجميع هؤلاء الزعماء كانوا وما يزالون يطلقون التصريحات حول القدس بأنها عاصمة لكيانهم حتى الأبد، وقد أصبح العرب من مسلمين ومسيحيين أقلية بالنسبة لليهود في المدينة المقدسة؛ بسبب الضعف العربي والتفكك وبسبب الإصرار الصهيوني على البقاء على الأرض المقدسية والفلسطينية بشكل عام.

لقد صرحت غولدا مائير رئيسة وزراء العدو الصهيوني عام 1969 بالحرف أنه (لا يوجد شعب فلسطين، وهذا لا يعني أننا في طريقنا لوضعهم في الميناء وأخذ أراضيهم، إنهم غير موجودين[1]. أما مناحيم بيغن فنراه يدلي في أوسلو لجريدة دافار 12/ 12/ 1978 بتصريح يقول فيه: (لقد عدنا لهذه الأرض ولنا الحق فيها).

ويقول موشي دايان وزير حرب العدو إبان نكسة حزيران 1967: (عندما يكون لدينا التوراة، وعندما نعتبر أنفسنا شعب التوراة يكون من حقنا أن نمتلك الأرض التوراتية، أرض الحكماء القضاة وأنبياء القدس وأريحا وأماكن أخرى[2].

---

(1) في تصريح لصحيفة الصنداي تايمز 15 حزيران 1969.

(2) جيروزاليم بوست 10 آب 1967.

وعندما دخل الجيش الصهيوني القدس، دعا موشي ديان وغيره من الزعماء الصهاينة السياسيين والمتدينين إليها وقال يومها: ها نحن عدنا يا قدس ولن نخرج أبداً).

وبعد الإعلان الصهيوني بأن القدس الموحدة عاصمة الكيان الصهيوني الأبدية أقام الجيش الصهيوني عرضاً عسكرياً فيها، ليؤكد مقولته ويثبت رؤيته بقوة السلاح. وفي عام 1993 أعلن الكيان الصهيوني أنهم أحرارُ اليد في عمل ما يريدون بالقدس، ومسألة هدم الأقصى وبناء الهيكل مسألة وقت ليس أكثر، حسب ما صرح به أكثر من زعيم صهيوني.

obeikandl.com

الإنجيلية الصهيونية والقدس

منذ ظهور المسيحية واليهود يكيدون للمسيحيين على مختلف انتماءاتهم المذهبية، فمنذ أن ظهرت المسيحية في روما في القرن الثالث الميلادي دس اليهود أفكارهم التوراتية في كثير من تعاليم المسيحية الأوروبية، لكنّ الكنيسة الكاثوليكية تشدّدت تجاه اليهود واعتبرتهم الأكثر عداوة للمسيح. وقد ظلت الكنيسة الكاثوليكية تحمّل اليهود دم المسيح وتشيع بين أتباعها هذه المقولات حتى قامت حرب دموية ضد اليهود في كثير من بلدان أوروبا. وخلال ألف وسبعمائة عام ظل موقف الكنيسة من اليهود موقفاً معادياً حتى المجمع المسكوني الثاني في الفاتيكان عام 1964. وعلى إثر الضغوطات المستمرة عبر مئات السنين اضطر بعض اليهود لاعتناق المسيحية. ودخلت الكنيسة ذاتها معترك الحياة الدينية من عدة أبواب. فمن ناحية همشت روما القدس وأصبحت مركز المرجعية الدينية المسيحية الكاثوليكية، وبعد عام 590م أصبحت روما مصدر السلطة المسيحية. وانبثق عن ذلك موقف كنسي معادٍ للسامية أساسه جعل اليهود يتحملون وحدهم دم المسيح كما قلنا، وترتب عليه أيضاً نظرة خاصة للتوراة ـ العهد القديم ـ هذه النظرة تقوم على تفسير التوراة ولا سيما نبوءات الأنبياء تفسيراً رمزياً وليس حرفياً، واعتبرت الكنيسة أتباعها أرقى عرقاً وأرقى إنسانية، ما دعم بروز تيارات قومية غربية تدّعي التفوق.

والواقع أنه، استناداً على هذه النظرة، برزت حروب دينية شنتها الكنيسة الأوروبية على الكفار ـ أي المسلمين واليهود على حد زعمهم ـ ففي الحروب الصليبية شن الغربيون حرباً دموية ضد المسلمين واليهود على السواء، وبدأت منذ ذلك الوقت سلسلة من المجازر الدموية والعنصرية ضد كل ما هو غير كاثوليكي، ففي بريطانيا وفرنسا واسبانيا شنت حملات تصفية لليهود أو طرد، وكذلك فعلت روسيا القيصرية، فكانت مسرحاً لمذابح كبرى لليهود عام 1648 على يد القوزاق.

لقد نظرت أوروبا لليهود نظرة عداء، فبعد أن أجرت بحقهم مذابح عديدة رأى الغربيون أن لا خلاص لأوروبا إلا بطرد اليهود كافة وخلاص البلاد الأوروبية منهم، وقد جرت محاولات عديدة لإيجاد صيغة لطردهم من أوروبا. إلا أن اليهود الذين تنصّروا ظلوا يدفعون باتجاه تغيير الموقف الديني الأوروبي تجاههم وتجاه التوراة. وبدأت الثورة التنويرية الأوروبية تعيد النظر في العلاقة بين العهد القديم، التوراة، والعهد الجديد. وعندما ترجمت التوراة إلى اللغة الألمانية على يد مارتن لوثر بدأت الحركة البروتستانتية التي كانت قد قويت آنذاك، تنظر إلى التوراة نظرة مغايرة للكنيسة الكاثوليكية.

وقد أصبحت التوراة في متناول الجماهير الأوروبية الشعبية، ولم تعد حكراً على رجال اللاهوت، وهذا ما ساعد الحركة البروتستانتية على تفسير التوراة تفسيراً حرفياً وليس رمزياً كما كان معهوداً لدى الكاثوليك وكنيسة روما.

لقد صار البروتستانت ينظرون إلى ما جاءت به التوراة نظرة قدسية خاصة.

فالوعد الإلهي بامتلاك الأرض الموعودة، ومقولة الشعب المختار، أصبحتا من أهم الأمور التي يؤمنون بها.

ومنذ بداية القرن السابع عشر راحت نداءات الحركة البروتستانتية تنتشر هنا وهناك، وتبني لأفكارها صروحاً قوية في بريطانيا خاصة، حتى بدا الاتجاه القائل بشعب الله المختار وعودة المسيح واليهود إلى الأرض المقدسة، من أقوى الاتجاهات المسيطرة على البرلمان البريطاني رغم معارضة ملوك بريطانيا له.

ويرى الكثيرون أن الصهيونية المسيحية بدأت في بريطانيا قوية منذ عام 1621، حين نشر الحقوقي الإنجليزي عضو البرلمان المدعو (هنري فنش) كتاباً بعنوان (البعث العظيم للعالم) أو نداء إلى اليهود وإلى جميع الأمم والممالك في الأرض للإيمان بالمسيح. وهذا الكتاب يرفض التفسير الرمزي للتوراة ويوصي صاحبه بقراءة التوراة قراءة حرفية فيقول فيه: (حينما تذكر إسرائيل ويهوذا وصهيون وأورشليم في التوراة فالله لا يعني بذلك إسرائيل روحية، ولا يعني كنيسة الله تجمع في صفوفها الأمم

واليهود المتنصرين، ولكن يعني بإسرائيل تلك التي تحدّرت من نسل يعقوب، وقُل الأمر نفسه فيما يخص العودة إلى أرضهم وانتصارهم على أعدائهم. فاليهود هم المعنيون حقاً وصدقاً بالتحرير، وليس المسيح هو الذي يحرر البشر)، وقد دان البرلمان الإنجليزي حينذاك هذا الاتجاه المتزمت القائل بعودة المسيح بعد ألف عام، واعتبره الملك جاك الأول 1603 ـ 1625 أمراً خطيراً. ولكن هذا الاتجاه بقي حجر الزاوية في الصهيونية المسيحية)[1].

وفي منتصف القرن السابع عشر تقريباً أصبحت السلطة البرلمانية في إنجلترا بيد البروتستانت المتزمتين المتعصبين واليهود، وقد كانوا يسمّون بالطهوريين ـ ومنهم بدأت الهجرة إلى أميركا بشكل واسع حيث اندمجوا مع اليهود المهاجرين مثلهم اندماجاً عقائدياً واجتماعياً، حتى إنهم نظروا إلى فتوحاتهم في أميركا ضد الهنود الحمر بأنها أشبه ما تكون بما جاءت به التوراة عن فتوحات يوشع والقادة العبرانيين في أرض كنعان.

فالتغييرات اللاهوتية في الحركة الدينية الجديدة ـ البروتستانتية روّجت لفكرة أن اليهود أمة مختارة، ونادت كما رأينا بعودتهم إلى فلسطين. فإعادة اكتشاف العهد القديم (التوراة) في الحركة البروتستانتية كعنصر أساسي في مفاهيم الحركة بعد أن كان مهملاً من قبل الكاثوليكية، قد عزز من النزعة اليهودية ودعم وجهة نظرها في الأوساط المسيحية الجديدة، وأصبحت فلسطين بذلك أرضاً يهودية في الفكر المسيحي في أوروبا البروتستانتية.

بدأ من وقتها الاهتمام بتحقيق النبوءات التوراتية، ولاسيما ما يسمى بالعصر الألفي السعيد، وهو الاعتقاد بعودة المسيح المنتظر الذي سيقيم مملكة في الأرض تدوم ألف عام. وبدا أن القرن السادس عشر كان بداية التركيز على شخصية اليهود، وقد استمرت الحركة في الانتشار عبر القرون اللاحقة إلى أن بلغت ذروتها في القرن

(1) روجيه غارودي: فلسطين أرض الرسالات السماوية ص 143.

العشرين مع مذهب (العصمة الحرفية) الأميركي الذي يقول بأن (إسرائيل) الحالية هي التحقيق الواقعي للنبوءة في العصر الحديث[1].

وعندما نعود إلى ما قلناه عن نفوذ اليهود والبروتستانتية في بريطانيا نرى أنه في عام 1649 أرسل استرحام للحكومة الإنجليزية جاء فيه:

(ليكن شعب إنجلترا وسكان الأراضي المنخفضة أول من يحمل أبناء وبنات إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التي وعد بها أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب لتكون إرثهم الأبدي). وكان اللذان بعثا الاسترحام هما (جوانا واينزر وكارترايت الإنجليزيين البيورتيانيين المقيمين في أمستردام). وكان أولفر كرمويل الذي بقي نحو عشر سنوات رئيساً للكومنولث البيورتياني 1649 ـ 1658 متعصباً دينياً وسياسياً يؤمن بالذرائع. ومن أجل حل مشكلة السماح لليهود بالعودة إلى إنجلترا دعا مؤتمر رايت هول عام 1655 لبحث مشروعية تلك العودة وظروفها[2].

والواقع أن المسيحية الصهيونية أبرزت أفكارها تجاه التوراة والنبوءات التوراتية من خلال منظورين؛ الأول سياسي والثاني أدبي.

وقد ارتبط المفهوم السياسي بمتناقضين في الطرح. فمن جانب يرى مؤيدو الصهيونية وحرفية التوراة أن قيام وطن قومي لليهود يخلص أوروبا من شرور اليهود.

وقد صرح بذلك مارتن لوثر نفسه حينما قال عام 1544: (من يمنع اليهود من العودة إلى أرض يهوذا؟ لا أحد. سوف نزودهم بكل ما يحتاجون إليه في سفرهم لا لشيء إلا لنتخلص منهم، إنهم عبء ثقيل علينا. إنهم مصيبة كبيرة على وجودنا) يقول روجيه غارودي: (إن تلك الخلفية الفكرية التي كانت لدى لوثر أصل الصهيونية المسيحية، هي نفسها التي كانت لدى بلفور الذي وفر للصهيونية السياسية انتصارها الأول، حينما كان آرثور بلفور رئيس وزراء إنجلترا وناصر قضية الحد من هجرة

---

(1) النفوذ الصهيوني في السياسة الفرنسية ـ رسالة الجهاد ليبيا ص 21.

(2) المصدر السابق ص 25.

اليهود إلى إنجلترا، وقد اتهمه المؤتمر الصهيوني السابع بمعاداته السافرة للشعب اليهودي وهذه اللاسامية المتأصلة لدى بلفور كانت تتفق تمام الاتفاق طوال حياته قبل عام 1905 وبعده مع الفكرة الصهيونية المطالبة بتخصيص أرض لليهود بغية تحقيق هدف واحد وهو إبعادهم عن إنجلترا، وكان بلفور قد وعد اليهود منذ عام 1903 بإعطائهم أرض أوغندا وفي عام 1917 وانسجاماً مع أهدافه في حربه مع ألمانيا كتب إلى اللورد روتشلد تصريحه المتضمن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين)[1].

ومن جانب آخر فقد رأى منظرو الصهيونية غير اليهودية أن قيام دولة إسرائيلية سيكون رأس جسر للزحف الاستعماري نحو الشرق.

لقد بدأت عملياً نظرة تجميع اليهود في فلسطين وإعادة بناء الهيكل في زمن نابليون بونابرت الذي أطلق عليه بعض الباحثين، نابليون الإمبراطور الصهيوني، فقد أُعطي اليهود بعد الثورة الفرنسية حق المواطنة، ومنحوا الجنسية الفرنسية، وقد أعدت حكومة الإدارة الفرنسية خطة عام 1798 لإقامة كومنولث يهودي في فلسطين في حال انتصار الفرنسيين في الشرق.

وقد أصدر نابليون بمجرد وصول حملته إلى مصر بياناً حث فيه اليهود على الالتفاف حول رايته من أجل إعادة بناء (مملكة القدس)، ثم وجه نداء آخر أثناء حصار عكا جاء فيه (من نابيون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين، أيها الإسرائيليون أيها الشعب الفريد الذي لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومي، وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط) ويتابع بيانه: (أدركوا أن عتقاء الله سيعودون لصهيون وهم يغنون وسيولد الابتهاج بتملكهم لإرثهم دون إزعاج فرحاً دائماً في نفوسهم). ويقول: (إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به والذي يقوده العدل

---

(1) روجيه غارودي ـ فلسطين أرض الرسالات السماوية ص 147.

ويواكبه النصر جعل (القدس) مقراً لقيادتي وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التي لم تعد ترهب مدينة داود)[1].

وفي ربيع 1799 أصدر نابليون بياناً طلب فيه من يهود إفريقيا وآسيا أن يقاتلوا تحت لوائه لإعادة إنشاء (مملكة القدس القديمة).

وكان الممثل الرئيسي للصهيونية غير اليهودية في حقبة نابليون المدعو آرنست لاهاران السكرتير الخاص لنابليون الذي يؤيد خطط نابليون الاستعمارية. وقد عبر عن فكرته بإقامة مملكة اليهود الجديدة بقوله: (يا لهم من مثل يحتذى ويالهم من جنس. إننا نحني رؤوسنا لكم أيها الرجال الأشداء. لقد كنتم أقوياء بعد مأساة القدس؛ لأنكم كنتم كذلك طول تاريخكم القديم، وإن الباقين منكم ممكن أن ينهضوا من جديد ويعيدوا بناء بوابات القدس).

وفي عام 1885 قال الحاخام غودمان لهرتزل: (كأنني أرى موسى بلحمه وعظمه ربما كنت ذاك الذي اصطفاه الله) في هذه الأثناء كان كثيرون من زعماء الصهيونية غير اليهودية يتملقون هرتزل ويحضون على استعمار القدس وفلسطين.

فالقس وليم هتشلر الذي استحوذت على عقله نبوءة حزقيال بعدما فرغ من قراءة كتاب هرتزل الدولة اليهودية اقتحم مكتب هرتزل وقال: أنت هو الذي كنت أنتظره، أنت المسيح المنتظر. وكذلك الأب أغناطيوس عام 1837 ـ 1908 الذي تحمس للصهيونية، وكان يتحدث دائماً عن بعث مملكة يهوذا ووصف هرتزل بقوله: هو يشوعكم الجديد الذي جاء لتحقيق نبوءة حزقيال، إن الصهيونية هي تحقيق لكلمات حزقيال النبي، وقال: اليهودية هي الصهيونية والصهيونية هي يهودية الله. والقس هتشلر الذي اقتحم مكتب هرتزل قائلاً أنت المسيح المنتظر جاء بصحبة هرتزل إلى مؤتمر بال بسويسرا عام 1897 معتبراً نفسه سكرتير المسيح المنتظر هرتزل، وطالما كان يردد في الاجتماع يحيا الملك معتبراً مسيحه هرتزل ملك الملوك، وقد قال في إحدى

(1) النفوذ الصهيوني في السياسة الفرنسية ـ كتاب رسالة الجهاد ص 31 ـ 32.

مقالاته استفيقوا يا أبناء إبراهيم فالله يدعوكم للرجوع إلى وطنكم القديم ويريد أن يكون إلهكم. وقد بشر هذا القس إسرائيل حسب فهمه للتوراة تفسيره لنبوءاتها أنها ستعود إلى فلسطين قبل عودة المسيح الثانية الذي يأتي ملكاً مجيداً يتربع على عرش القدس ويحكم العالم من هناك ملكاً للملوك، وفي عام 1884 أصدر كراساً بعنوان إرجاع اليهود إلى فلسطين حسبما ورد في أسفار الأنبياء. وهو يرى أن عودة اليهود إلى أرض الميعاد قد بدأت بالفعل. ويؤيد هذه الرؤيا بآيات من العهد الجديد أخرجها بالتفسير والتأويل عن مدلولها الظاهر فإذا هي تعني ماضي فكره وتوافق هواه. قال: إن بعض نبوءات المسيح قد تحققت منذ قديم الزمان مثل الآية (ملوك الأمم يسودونهم، والمتسلطون عليهم يدعون محسنين) لوقا 22 ـ 25 والآية (ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم) لوقا 21 ـ 24.

وتظهر صهيونية القس الإنجيلي في حملِهِ خريطة فلسطين وقوله لهرتزل: (يجب أن تكون حدودنا الشمالية جبال كبادوكيا، والجنوبية قناة السويس وشعارنا فلسطين داود وسليمان).

وكثير من المسيحيين الغربيين، إن لم نقل أغلبهم، قد آزروا الصهيونية لاعتقادهم بأن نبوءات التوراة حول عودة اليهود إلى فلسطين واقعة حتماً، ولذلك قال وايزمان «إن من الأسباب الرئيسية لفوز اليهود في الحصول على تصريح بلفور من بريطانيا بإنشاء الوطن القومي اليهودي هو شعور الشعب البريطاني المتأثر بالتوراة».

وكان لفرنسا نصيبها من الصهيونيين المؤمنين بالعصر الألفي السعيد، وكان ممثلهم البارز هو إسحاق لابيرير 1594 ـ 1676م الذي كتب (دعوة اليهود) ودعا إلى إحياء (إسرائيل بتوطين اليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) على الرغم من اعتناقه المسيحية. وقد بعث استرحامه إلى ملوك فرنسا، ولكن رسالته لم تنشر إلا بعد قرنين من الزمان، حين دعا نابليون إلى اجتماع السنهدريم اليهودي عام 1806، وقد تنبأ

قسيس فرنسي يدعى بيير جوريو بإعادة تأسيس مملكة يهودية في فلسطين قبل انتهاء القرن السابع عشر. وقد ظهرت أفكار الصهيونية غير اليهودية في كثير من الإبداعات الأدبية، وغدت أفكار العهد القديم (التوراة) أكثر مصادر الإلهام لفناني وشعراء العهد الجديد (الإنجيل) ليس في إنجلترا فحسب بل في القارة الأوروبية كذلك. وهكذا ظهرت معادلة فلسطين بكل مضامينها الصهيونية.

وكانت قصيدة ملتون الشهيرة (الفردوس المستعاد) قد تحدثت عن عودة إسرائيل (لعل الله الذي يعرف الوقت المناسب جيداً سيذكر أبناء إبراهيم وسيعيدهم نادمين وصادقين، وسيشق لهم البحر وهم عائدون مسرعين جذلين إلى وطنهم، كما شق البحر الأحمر ونهر الأردن عندما عاد آباؤهم للأرض الموعودة. إنني أتركهم لعنايته وللزمن الذي يختاره).

واستعملت الصورة الصهيونية عن القدس اليهودية الجديدة في ترانيم القرن الثامن عشر، وأبرزها تلك التي كتبها (تشالس وزلي) وقرب نهاية القرن الثامن عشر خاطب وليم بليك اليهود بهذه الأبيات:

(استيقظي يا إنجلترا. استيقظي استيقظي. فأختك القدس تناديك. لماذا ينام هؤلاء المؤمنون كالأموات ويغلقونها عن جدرانك القديمة).

أما في القارة الأوروبية فقد ظهرت موضوعات عبرية توراتية في الأدب الفرنسي، وكان العهد القديم (التوراة) مصدراً لموضوعات (دجين باتبيست راسين) الفرنسي الكلاسيكي، ولا تزال مأساته إستير التي كتبها عام 1689 تعد واحدة من أهم الدراما الفرنسية.

وسارت فلسطين ـ والقدس ـ واليهود جنباً إلى جنب في الأفكار الصهيونية، وقد تصور (برستلي) فلسطين أرضاً غير مأهولة بالسكان أهملها مغتصبوها الأتراك ولكنها مشتاقة مستعدة لاستقبال اليهود العائدين)[1].

(1) النفوذ الصهيوني في السياسة الفرنسية ـ كتاب رسالة الجهاد ص 28 ـ 29.

وتظهر دولة (إسرائيل) المستقبلية في كتابات جان جاك روسو وهو مواطن من جنيف ينحدر من أسرة بروتستانتية، فقد جاء في كتاب روسو عن التعليم عام 1762م: (لن نعرف الدوافع الداخلية لليهود أبداً حتى نُكَوِّن لهم دولتهم الحرة ومدارسهم وجامعاتهم). وكتب باسكال إن (إسرائيل هي البشير الرمزي للمسيح المنتظر).

وقد كان للصهيونية غير اليهودية في الولايات المتحدة الدور المهم في تأييد الكيان الصهيوني ودعمه مالياً ومعنوياً. فأكثرية الأمريكان من البروتستانت المتأثرين، إلى حد بعيد، بنبوءات التوراة وعودة اليهود إلى فلسطين، حتى إن رجال الكنيسة البروتستانتية أخذوا يتدخلون متشددين لتأييد اليهود، ففي عام 1945 وقَّع نحو خمسة آلاف قسيس منهم مذكرة رفعوها إلى الحكومة طالبين فيها فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية.

ولعل أكثر من ألقى الضوء على علاقة الصهيونية الإنجيلية مع الصهيونية اليهودية الكاتبة الأمريكية غريس هالسل في كتابها المسمى بالنبوءة والسياسة. وقد سلطت الضوء بشكل قوي على تلك العلاقة باعتبارها من المستشارين الهامين لبعض الرؤساء الأمريكيين. فهي على صلة وثيقة بخفايا السياسة الأميركية ومواقفها تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني.

تقول في معرض تعريفها لكتابها: (ولكن قلة قليلة تدرك أن التحالف الصهيوني الأمريكي الفريد والخاص، يرجع بالإضافة للعوامل السابقة وفي المقام الأول، إلى دوافع وأسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية، وإلى الخلفية التوراتية في العقل الأمريكي، كما أن قلة قليلة من المثقفين تدرك أن الفكرة الصهيونية قد ولدت في أحضان المسيحية البروتستانتية قبل هرتزل بقرون)[1].

ويمكن أن ندرك ذلك من خلال ما قاله الرئيس السابق ريغن عام 1984 في كنيس يهودي في نيويورك: (جميعنا هنا اليوم من أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب أبناء وبنات الإله نفسه).

---

(1) مجلة رسالة الجهاد العدد 85 (1990).

وتُسَلِّط هالسل الضوء على كتاب خطير اسمه (آخر أعظم كرة أرضية) الذي بيع منه 18 مليون نسخة في السبعينيات، وتكمن خلاصة الكتاب في قول مؤلفه (هول لندسي) إن الله قضى علينا أن نخوض غمار حرب نووية (هرمجّدون) والخطر هنا أن لندسي يوظف نبوءات الكتاب المقدس لتأصيل نظريته هذه.

وترى الكاتبة أن أصول نظرية هرمجدون تعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع سايروس سكوفيلد وجون داربي اللذين أسسا مفهومهما عن المسيحية على أساس النبوءات التوراتية والإنجيلية، واستنتجا أن لله مخططاً على الأرض من أجل إسرائيل ومخططاً في السماء من أجل خلاص المسيحيين.

تذكر الكاتبة هالسل أن البروتستانت الأصوليين يعتقدون أن النبوءة الإنجيلية تقضي بأن على اليهود أن يدمروا المسجد الأقصى ويبنوا الهيكل مكانه، ويعتبرون الإرهابيين اليهود الذين حاولوا مراراً تدمير الأقصى أبطالاً، ويدعمون الحركات الصهيونية الإرهابية التي تخطط للعدوان على المقدسات الإسلامية. كما يعتبر هؤلاء أن قيام الكيان الصهيوني وإعادة بناء الهيكل، وبناء ما يسمى بإسرائيل الكبرى شرط لعودة المسيح ليحكم الأرض ألف سنة في جنة أرضية تنعم بالسلام المطلق. وتورد الكاتبة على لسان المدعو فولويل زعيم منظمة (الأكثرية الأخلاقية الأميركية) وأحد أقطاب حتمية الدمار النووي في هرمجدون قوله: (أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يأتي يوم يجلس الإله المسيح على عرش داود في القدس. إن هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءاً منه).

وفي حديث إلى الإنجيلي (هارولد برتسون) أكد (ريغن) أن إعادة توحيد القدس تحت العلم الصهيوني هو تحقيق لنبوءة إنجيلية.

وفي عام 1980 قال ريغن أمام مجموعة من القادة اليهود: إسرائيل هي الديمقراطية الثابتة الوحيدة التي يمكن أن نعتمد عليها موقعاً لحدوث هرمجدون.

ولعل الفصل السابع من كتاب غريس هالسل هو الأهم من بين الفصول فيما يتعلق بموضوع القدس، وتبين كيف يعد الصهاينة العدة لتدمير المسجد الأقصى

ومسجد الصخرة وبناء الهيكل مكانهما، وكيف أعدوا مواد البناء والتحف التي تستعمل في الهيكل.

وتسجل الكاتبة هنا أن الصهاينة المسيحيين يعتقدون أن إعادة بناء الهيكل هي نبوءة توراتية، إرادة إلهية لابد أن تحدث وأن على المسيحيين أن يساعدوا الصهاينة لتهديم المسجد الأقصى وبناء الهيكل. وتختم الفصل السابع بقولها: (على الرغم من أن المسيح دعا إلى إقامة المعابد في النفس فإن الأصوليين المسيحيين يصرّون على أن الله يريد أكثر من بناء معبد روحي. إنه يريد معبداً حقيقياً من الإسمنت والحجارة يقام تماما في الموقع الذي توجد فيه الصروح الإسلامية).

وتتحدث الكاتبة في الفصل الثامن حول الجهود المحمومة التي يقوم بها المسيحيون الصهاينة لمساعدة الإرهابيين الصهاينة على تدمير المقدسات الإسلامية في القدس، وتتحدث فيه عن المنظمات التي أنشؤوها لجمع التبرعات من الأمريكيين لهذا الغرض، ومنها (بناء المعبد) ومنظمة (الأغلبية الأخلاقية) و(السفارة المسيحية الدولية).

وتذكر المؤلفة أن منظمة مؤسسة (معبد القدس) قد قدمت أموالاً كبيرة للمحامين الذين دافعوا عن 29 إرهابياً صهيونياً حاولوا نسف المسجد الأقصى عام 1983، وأن هذه المنظمة تقدم الدعم المتواصل لمعهد (ميشيفا) اليهودي الذي يعد الكهنة للخدمة في الهيكل الذي يخططون لإعادة بنائه.

وتتناول في الفصل العاشر المؤتمر المسيحي الصهيوني الأول الذي عقد عام 1985 برعاية السفارة المسيحية الدولية. وحضره 589 شخصاً من المسيحيين الصهاينة من 27 دولة. وحث هذا المؤتمر في توصياته جميع اليهود إلى الهجرة إلى الكيان الصهيوني، وحث العدو الصهيوني على ضم الضفة الغربية، وطالب المؤتمر الولايات المتحدة وجميع دول العالم بالاعتراف بضم القدس ونقل سفاراتها إليها.

وتؤكد الكاتبة في خاتمة كتابها أن الطريق الذي يسير فيه التحالف المسيحي الصهيوني واليهودي الصهيوني ينذر بحدوث كارثة نووية تدمر العالم.

القرار الأمريكي بشأن القدس تمهيد لهدم الأقصى:

ليس مفاجئاً ولا مفاجأة أن يقر الكونغرس الأميركي بأن القدس عاصمة للكيان الصهيوني، وليس غريباً أن يصادق على هذا القرار الرئيس الأمريكي بالسرعة المطلوبة. فللتصديق عليه أبعاد ودلالات وحيثيات، وفي توقيته أكثر من معنى وأكثر من دلالة. فالمسألة تعود إلى الوراء كثيراً وليست بنت ساعتها.

ماذا يعني هذا القرار وماذا يعني التصديق عليه؟

في غمرة الأحداث التي يعيشها العالم، ويعيشها العرب والمسلمون، بدأت خطوات عملية أميركية، لتحطيم كل من يعارض السياسة الدولية الأميركية. بدأت بأفغانستان على أيدي قوات أميركية وأخرى متحالفة معها، وتوحشت في فلسطين على أيدي قوات الاحتلال الصهيوني، وانتقلت إلى العراق حيث تقرع طبول الحرب على الأبواب. وما بين هذه الخطوات تمتد الأصوات صارخة بإنزال أشد العقوبات بالمسلمين الذين يقفون وجهاً لوجه مع العولمة الأميركية وتسوّد الأغنياء والعنصريين من صهاينة وأنكلوساكسون

الولايات المتحدة أقامت الكيان الصهيوني في عام 1948 بعد أن بدأت مشروعها بقرار التقسيم، حيث رفعت العصا بوجه أعضاء الهيئة الدولية كي يقروا بإقامة دولة يهودية إن شاؤوا وإن أبوا. ومنذ ذلك الوقت نفخت الولايات المتحدة الروح في الكيان الصهيوني، وأمدته بكل مقومات الحياة والقوة، حتى وصل بعد أربعة وخمسين عاماً إلى قوة ضاربة في الشرق الأوسط.

وحين نقرأ العقل الأميركي بشكل جيد، ندرك أن اعترافه بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني على المستوى العملي، حاصل وفعلي ليس من اليوم بل منذ زمن بعيد، وعلى أقل تقدير منذ عام 1967. أما على المستوى النظري فتعود المسألة إلى زمن سيطرة التيار الأصولي المسيحي البروتستانتي على السياسة الأميركية والغربية بشكل عام منذ القرن السادس عشر حتى اليوم.

عندما قامت حرب حزيران عام 1967 واستولى الصهاينة على القدس والمسجد الأقصى، رأت المسيحية الصهيونية الأميركية في ذلك دليلاً آخر على قرب نهاية الزمان، لأن الله، حسب زعمهم، سيحقق نبوءات العهد القديم، التي تنص على إقامة الهيكل اليهودي. وقد كتب (نيلسون بل) في كبرى الصحف الإنجليكانية (إن وقوع القدس اليوم للمرة الأولى منذ ألفي سنة في أيدي اليهود ليَهزُّ دارس الكتاب المقدس. ويمنح إيماناً متجدداً في دقة الكتاب المقدس وصحته).

ويقول رونالد ريغان الرئيس الأميركي السابق: (إن إعادة توحيد القدس تحت العلم الصهيوني هو تحقيق لنبوءة إنجيلية).

وفي عام 1980 فتحت السفارة المسيحية أبوابها في القدس، في احتفال حضره آنذاك تيدي كوليك رئيس ما يسمى بلدية القدس وممثلون عن حكومة بيغن. وكانت غايتها إنشاء سفارة في القدس من أجل مسيحيي العالم الذين يودون تأييد سياسات الكيان الصهيوني.

ولم تتوان حكومة الولايات المتحدة في عهد كلينتون، عن الإعلان عن عزمها إقامة سفارة للولايات المتحدة في القدس. وكانت حكومة الكيان قد حددت المكان الذي ستقام عليه السفارة، على الرغم من أن الأرض التي ستقام عليها هي ملك للفلسطينيين وليس ملكاً لأحد. ولكن سياسة الصهاينة أساساً تقوم على مبدأ أن أرض فلسطين هي ملك اليهود حصراً. إذاً فقرار بوش والكونغرس بالاعتراف بالقدس بما فيها الأماكن الإسلامية المقدسة عاصمة للكيان الصهيوني، هو قرار قديم لم يكن مفاجئاً أو طارئاً.

ماذا يعني توقيت القرار؟

إن القارئ للأحداث يدرك أن الولايات المتحدة حددت توقيتاً خاصاً جداً للإعلان عن القرار. فبعد سنة على أحداث 11 أيلول، وبعد أن شنت الولايات المتحدة حرب الإبادة على المسلمين في أفغانستان، وجدت نفسها عاجزة عن تحقيق أهدافها المعلنة في القضاء على التيارات الإسلامية المعادية لها. وفي الوقت نفسه ومنذ سنة

اشتدت الحملة الصهيونية على أبناء فلسطين، وراح الجيش الصهيوني يطبق سياسة الأرض المحروقة، فنسف آلاف المنازل، ودمر الأراضي، واعتقل الآلاف من أبناء فلسطين واغتال وقتل الآلاف الآخرين. وفي نفس الإطار بدأ التوجه الأميركي نحو ضرب العراق وكذلك التلويح بتغيير بعض الأنظمة العربية التي تدعي أميركا أنها تغذي الإسلام الإرهابي على حد زعمها. وبمعنى من المعاني، فإن الحملة الأميركية الصهيونية المتعددة الاتجاهات، استمرت وتستمر بوتيرة متصاعدة سياسياً وعسكرياً. وبعد أن درست أميركا ردود الأفعال العربية والإسلامية، وجدت أن العرب والمسلمين أصبحوا بلا إرادة ولا حول لهم ولا قوة، وستبقى ردود أفعالهم أقل بكثير من الحد الأدنى. وهذا هو الوقت المناسب للإعلان عن اعترافها بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني.

وحتى تكون عملية الإذلال للعرب والمسلمين أكبر وأشد طعناً فقد اختارت التوقيت الذي يحتفل فيه المسلمون والعرب بذكرى الإسراء والمعراج المرتبطة بالمسجد الأقصى والقدس. فهذه الذكرى الهامة في حياة الأمة الإسلامية، تربط المسلمين بالمسجد الأقصى وتجعلهم، في الحد الأدنى، يفكرون بالمصير الذي ينتظر مقدساتهم وأهمها المسجد الأقصى، فأرادت الولايات المتحدة أن تبعث رسالة لهذا العالم العربي والإسلامي مفادها التهديد والوعيد والإذلال.

القرار تمهيد لنسف الأقصى:

وعندما ننظر إلى ردود الأفعال العربية والإسلامية على القرار الأميركي، ندرك أن الولايات المتحدة نفضت يدها من أي التزامات مع العرب والمسلمين، خاصة هؤلاء الذين يرون فيها صديقة وحليفة. وقد أثبت الواقع أن أميركا بطبيعتها الصليبية الصهيونية، لا يمكن أن تكون صديقة لأحد سوى الكيان الصهيوني، فإذا كانت ردود الأفعال العربية والإسلامية على هذا المستوى الضعيف جداً، فإن ذلك يعطي الضوء الأخضر للخطوة القادمة، وهي هدم المسجد الأقصى، وإقامة ما يسمى الهيكل الثالث فوق أنقاضه. وعندها ماذا يفعل العرب والمسلمون؟ لن يفعلوا شيئاً، لأنهم

فقدوا الإرادة، وعشش في نفوسهم الوهن والرعب وحب الدنيا والحفاظ على مكتسباتهم الدنيوية القابلة للزوال إن عاجلاً أو آجلاً.

أما الموقف الأميركي تجاه هدم الأقصى، فسيكون موقف المؤيد والمتحمس والدافع لتشييد الهيكل ومحو أي أثر إسلامي. فأتباع الصهيونية غير اليهودية في أميركا يعتقدون أن إعادة بناء الهيكل، هي نبوءة توراتية وإرادة إلهية لابد أن تحدث. وأن على المسيحيين أن يساعدوا اليهود لتهديم الأقصى وبناء الهيكل، ويرون: أن الله يريد أكثر من بناء معبد روحي، إنه يريد معبداً حقيقياً من الإسمنت والحجارة، ويُقام تماماً في الموقع الذي توجد فيه الصروح الإسلامية. ويرون أن لله مخططاً على الأرض من أجل «إسرائيل» ومخططاً في السماء من أجل خلاص المسيحيين. ويرى في هذه المقولة أن على اليهود تدمير المسجد الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه.

الكيان الصهيوني الحليف البديل:

عندما أصدر الكونغرس الأميركي قراره وصادق عليه بوش كانت أميركا تقوم بأكبر تحرك سياسي في أوروبا وهيئة الأمم المتحدة؛ لحشد إجماع دولي لضرب العراق، لكن حسابات الولايات المتحدة لم تكن صحيحة بالقدر الكافي. فبريطانيا حسمت أمرها منذ البداية، فهي حليف لأميركا بكل الأشكال. ولكن بريطانيا ليست طوني بلير وحده، فهناك في مجلس العموم تتزايد الأصوات المنددة بالحرب على العراق، والشعب البريطاني منقسم على نفسه في هذا الإطار، حتى إن مسيرة الأربعمائة ألف التي جرت في لندن قالت بصوت مرتفع: (لا لتحالف بلير مع واشنطن). ولابد لهذا الاعتراض من أثر على سياسة الحكومة البريطانية، وإن لم يظهر عاجلاً فإنه لابد أن يؤثر أجلاً. بينما أفصحت فرنسا وكذلك ألمانيا عن رفضهما القاطع للحرب ضد العراق، ما شجع روسيا للميل نحو رفض الحرب، على الرغم من وضوح قلق ما على السياسة الروسية تجاه الأزمة.

إن كل تلك المواقف دفعت الولايات المتحدة أكثر فأكثر نحو الكيان الصهيوني، على اعتباره الأكثر استجابة للتوجه الأميركي، والأكثر قابلية للمغامرة في حرب ضد

العراق والأمة العربية. وكان لابد في هذا السياق، من أن تمنح الولايات المتحدة مكافأة للكيان الصهيوني على موقفه، ولم تجد أميركا سوى الاعتراف بأن القدس عاصمة لهذا الكيان. وهذا ما يمهد الطريق أمام شارون للإقدام على خطوة قاصمة، وهي تدمير المسجد الأقصى والشروع ببناء ما يسمى الهيكل على أنقاضه.

والواقع أن المصالح جميعها تتباين. فلكل مصلحته تجاه ما يحدث، بريطانيا لها مصلحة، وكذلك فرنسا وروسيا وغيرهما. ولكن المصلحة الكبرى تأتي لصالح الكيان الصهيوني، وهذا ما لا يخفى على الولايات المتحدة. فساسة الصهاينة يدفعون منذ زمن بعيد باتجاه الحرب وإشراكهم فيها. ولعل في هذا الإشراك ما يخرج شارون ووزارته من مأزق الانتفاضة، الذي قد يتفاقم ويزداد إذا ما سارت الأمور لغير صالح دعاة الحرب على العراق. ونعتقد أن ما يجري في فلسطين لا ينفصل ولا يبتعد عما يجري في العراق، على اعتبار أن التوجه الأميركي تجاه المنطقة ومستقبلها لا يفصل ما يحدث في فلسطين عما يحدث في العراق أو غيرها.

إن إقدام الولايات المتحدة على إصدار قرارها بشأن القدس يعني في حسابات السياسة الأميركية تأكيد التحالف الاستراتيجي مع الكيان الصهيوني دون سواه. و ما عدا ذلك فقد أصبح على هامش هذه السياسة. ليس مهماً بالنسبة لأميركا إن رضي العرب أو احتجوا، فكل رضاهم وكل احتجاجاتهم لا تبلغ الحد الأدنى من الرد على أميركا وسياستها القادمة تجاه العرب والمسلمين.

حركات دينية يهودية وإنجيلية ربطت نفسها بما يسمى الهيكل:

لا شك في أن الحركة الصهيونية بما حوته من تيارات فكرية دفعت باتجاه الربط المتواصل بين اليهود وبين ما يسمى الهيكل. وعلى الرغم من الزعم بأن العلمانيين الصهاينة لا يستندون كثيراً على البعد الديني في سلوكهم وتعاملهم الحياتي، إلا أنهم جميعاً سياسيين ومفكرين وجدوا في الحركات والأحزاب الدينية رصيداً هائلاً في تثبيت دعائم الفكرة الصهيونية في التوسع والعدوان، وقد دفعوا ببعض الفئات

الصهيونية لتربط نفسها فكرياً واستراتيجياً بما يسمى الهيكل وإعادة بناء المجد اليهودي الغابر من خلال هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل اليهودي مكانه، وقد ظهرت هذه الحركات قبل ظهور الحركات الصهيونية بقرون، ولم تقتصر على اليهود بل برزت وبشكل قوي إبان الحروب الصليبية. وعظم شأنها وأصبحت في طور من الأطوار منظمات مؤثرة في مسيرة التوجه الاستعماري الصليبي.

❖ **منظمة فرسان الهيكل:** وهذه المنظمة أسسها فرسان صليبيون في القدس عام 1118. وهي منظمة دينية عسكرية ادّعت بأنها أُنشئت لحماية الحجاج والقبر المقدس. والذين أسسوها تسعة فرسان. وخلال 200 عام أصبحت هذه المنظمة من أقوى الكيانات التنظيمية نفوذا في أوروبا. وقد قطع أعضاء هذه المنظمة عهداً على أنفسهم أن يكرسوا سيوفهم وسلاحهم وأرواحهم للدفاع عن أسرار الديانة المسيحية كما فسرها البابا. ومن العهود التي قطعوها عدم السماح لأنفسهم بالاستسلام أو التنازل عن شبر من الأرض إلى الأعداء، وعدم التراجع حتى لو كان العدو يفوقهم عدداً.

اختاروا اسم فرسان الهيكل تسميةً لهم، وذلك باسم الهيكل الذي يدّعون أن النبي سليمان قد شيده في القدس، حيث خصص لهم المِلك مقرات للمرابطة بالقرب من ذلك الهيكل.

وقد شاركوا في الحرب الإبادية ضد حجاج المسلمين بشكل عام. وقاتلوا يوم حطين، إلا أن سمعتهم العنصرية وأعمالهم الدموية الإجرامية دفعت بصلاح الدين والمسلمين لإبادة أكثر جنودهم.

❖ **حركة أمناء الهيكل:** تعتبر من أخطر الحركات الصهيونية اليهودية المعاصرة. ألفت نواة هذه الحركة بعد عام 1967، وبدأ نشاطها العملي الإرهابي بشكل واسع منذ بداية الثمانينيات، وتتلقى الدعم من الولايات المتحدة. وتقوم نظريتها على أن إعادة بناء الهيكل مهمة ملحّة وأولية لدى اليهود، وهذا يتطلب تدمير المسجد الأقصى ومسجد عمر وجميع المقدسات الإسلامية في القدس.

ركزت هذه الحركة جهودها على الأماكن المقدسة في الأرض المحتلة.

أعمال هذه الحركة: قامت مجموعة يقدر عددها بـ 45 عضواً ومن بينهم عشرة مجندين بمحاولة للتسلل إلى المسجد الأقصى في الساعة العاشرة والنصف ليلاً من خلال نفق يمتد عبر الحفريات من الناحية الجنوبية للمسجد خارج الأسوار. وكانت الغاية من هذه المحاولة وضع اليد اليهودية على الحرم القدسي، تمهيداً للسماح للمتدينين اليهود بالدخول إليه وتقسيمه، على الأقل، أو هدمه نهائياً إن أمكن وإقامة حجر أساس لبناء الهيكل الثالث المزعوم.

ويؤكد ضلوع سلطة الكيان الصهيوني وتورطها في هذه المؤامرة مع حركة أمناء الهيكل على المسجد الأقصى تلك الرسائل التي بعثت بها الحركة لكل من رئيس الوزراء ووزير داخليته، وإلى عدد من قادة الشرطة الصهاينة في القدس تطلب السماح لأعضائها بالدخول إلى المسجد الأقصى، للاحتفال بما يسمى عيد الفصح، وإقامة الصلوات اليهودية فيه.

وكان من أعنف المحاولات ما حدث يوم 9/ 8/ 1981م الذي يصادف ما يسمى ذكرى خراب الهيكل. حيث حاولت مجموعة كبيرة من شبان الحركة التسلل أكثر من مرة، ومن عدة أبواب، إلى دخول الحرم القدسي لإقامة الصلوات اليهودية فيه. وقد كسروا باب المغاربة وحطموا قفل الباب وصعدوا إلى بناية (التنكزية) ولكن المسلمين تصدوا لهم وحالوا دون دخولهم، وقد جاءت المحاولة ضمن خطة مرسومة لفرض الأمر الواقع اليهودي على الحرم، وذلك على غرار ما حدث في الحرم الإبراهيمي في الخليل.

وفي 1/ 2/ 1983 تمكن بعض أفراد هذه الحركة من الوصول إلى المسجد الأقصى وإقامة صلوات يهودية فيه. في هذه الأثناء كانت الصحافة الصهيونية تطالب ضمن مقالاتها وتعليقاتها بالسماح لليهود بإقامة الصلاة في الحرم القدسي الشريف.

وفي 2/ 3/ 1983 قامت مجموعة من حركة أمناء الهيكل وعدد أفرادها 15 فرداً مسلحين بالبنادق الرشاشة والسكاكين باقتحام باب السلسلة ومنه إلى المسجد الأقصى، بعد أن اعتدوا على أحد الحراس وطعنوه بالسكاكين، ودخلوا إلى المصلى الذي يقع بين باب المغاربة والمسجد الأقصى. وحدثت اشتباكات عنيفة بينهم وبين الحراس، وقد أسفرت المواجهات عن إخلاء المقتحمين. وقد أثار هذا الاعتداء موجة عارمة من السخط في مختلف أنحاء فلسطين المحتلة وشهدت مدينة القدس إضراباً شاملاً، كما تظاهر المواطنون الفلسطينيون في نابلس وبير زيت ورام الله وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية. وقد حاولت مجموعة من هذه الحركة الدخول إلى المسجد الأقصى بتاريخ 10/ 4/ 1983 فتصدى لها حراس المسجد واستغل ذلك جندي صهيوني يدعى (إيلي جودمان) فاقتحم الحرم القدسي وهو يطلق النار؛ ما أدى إلى استشهاد اثنين من العرب وهما محمد اليماني 56 عاماً وجهاد بدر 21 عاماً، ثم واصل إطلاق النار على المصلين؛ ما أدى إلى سقوط 120 جريحاً وحدوث حرائق في سجاد قبة الصخرة، وإلى أضرار مادية جسيمة.

وفي ليلة الجمعة الموافق 27/ 1/ 1984 قامت مجموعة يهودية مسلحة تنتمي لحركة أمناء الهيكل بمحاولة نسف الحرم القدسي بعد اقتحامه من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة. وقد نصبوا السلالم من الحبال وبدأوا محاولة الصعود، إلا أن الحراس تصدوا لهم فلاذوا بالفرار تاركين وراءهم قنابل ومتفجرات وبعض الأقنعة، وقد تبين من التحقيقات التي نشرت الصحف جانباً منها أن أفراد هذه المجموعة ينتمون إلى جماعة دينية متطرفة تطلق على نفسها اسم أبناء يهوذا، وتشترك معها عناصر من حركة أمناء الهيكل، وتتخذ من خرائب قرية لفتا العربية مقراً لها، ومن بين أعضائها الذين نشرت الصحف أسماءهم (يهوذا ليامي) 31 عاماً و(عوزي محسيا حمعليون) 46 عاماً.

وقد اعترف وزير الداخلية في الكيان الصهيوني آنذاك في جلسة الحكومة بأن كل القنابل والمتفجرات التي عثر عليها لدى المجموعة اليهودية هي من صنع الجيش

الصهيوني. وهذا يدل بشكل قاطع على أن عناصر قيادية في الجيش هي التي تمد المنظمات الدينية اليهودية في الكيان.

أما المجزرة التي قامت بها الحركة يوم الاثنين بتاريخ 8/ 10/ 1990 فقد دبرت مسبقاً حيث إن الحركة الدينية ـ أمناء الهيكل ـ كانت قد حضّرت حجراً لوضعه في ساحة الحرم ليكون حجر الأساس لإقامة الهيكل. وكانت الشرطة وعناصر الجيش تعرف مسبقاً بذلك، وتعرف أن المسلمين لن يسكتوا على ذلك. فإذا ما حاولوا منع أعضاء الحركة اليهودية فإنهم سيطلقون النار على المسلمين. وفعلاً فقد حدث ذلك، وحين بدأ العرب برشق جنود الحركة وأفراد عصابتها انهالوا مع أفراد الجيش والشرطة على المسلمين بإطلاق النار والغاز، ما أدى إلى استشهاد 23 مواطناً وجرح أكثر من أربعمائة حسب بعض المصادر. وقد انتشرت الجثث في ساحة الحرم وسالت الدماء هنا وهناك.

وعلى الرغم من ذلك فإن حركة أمناء الهيكل وعلى لسان حاخامها صرحت أنه يجب العمل على طرد الفلسطينيين بأي وسيلة ولو كانت الإرهاب والقتل.